

﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي
الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلِي الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ [الدخان: 43 - 46]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَاتِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا أَقَامَ اللَّهُ تَعَالَى الدَّلَالََةَ عَلَى أَنَّ أَمْرَ الْقِيَامَةِ حَقٌّ، ثُمَّ أَرَدَفَهُ
بوصف ذلك اليوم؛ ذَكَرَ عَقِيبَهُ وَعَيْدَ الْكُفَّارِ^(١)، وَمَا سَيَقَاسُونَهُ
مِنْ أَهْوَالٍ فِي النَّارِ، حَتَّى الطَّعَامِ الَّذِي يَأْكُلُونَهُ يَكُونُ فِيهِ شِدَّةٌ
إِيْلَامٍ؛ لِيَعْلَمُوا أَنَّ عِظَمَ الْإِجْرَامِ، وَالْإِسْرَافِ فِي عَمَلِ الْآثَامِ
يُقَابِلُهُ عَظِيمُ الْإِنْتِقَامِ.

عِظَمُ الْإِجْرَامِ
يُقَابِلُهُ شِدَّةُ
العَذَابِ وَعَظِيمُ
الْإِنْتِقَامِ

❁ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿شَجَرَتَ﴾: (شجر) تَدُلُّ اسْتِثْقَاقَاتُهَا عَلَى تَدَاخُلِ شَيْءٍ فِي
شَيْءٍ، وَعَلَوْ فِي الشَّيْءِ وَارْتِفَاعُ⁽²⁾، وَالشَّجَرُ وَالشَّجَرَةُ: مَا كَانَ عَلَى
سَاقٍ مِنْ نَبَاتِ الْأَرْضِ، وَكَانَ لَهُ أَغْصَانٌ وَظِلٌّ، يُقَالُ: شَجَرَةٌ وَشَجَرٌ،
كَثْمَرَةٌ وَثَمَرٌ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ﴾، وَجَمْعُ الشَّجَرَةِ:
شَجَرٌ وَشَجَرَاتٌ وَأَشْجَارٌ⁽³⁾.

(2) ﴿الزَّقُّومِ﴾: (زقم) تَدُلُّ اسْتِثْقَاقَاتُهَا عَلَى جَنْسٍ مِنَ الْأَكْلِ⁽⁴⁾،
وَمِنْهُ الزَّقُّومُ؛ وَهُوَ اسْمٌ لَطَعَامٍ فِيهِ تَمَرٌ وَزَبْدٌ، وَهُوَ أَيْضًا: عِبَارَةٌ عَنْ
أَطْعَمَةٍ كَرِيهَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ فِي النَّارِ لِأَهْلِ النَّارِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ
شَجَرَتَ الزَّقُّومِ﴾، وَهُوَ كُلُّ طَعَامٍ ثَقِيلٍ⁽⁵⁾، وَمِنْهُ قِيلَ: زَقَمَ فُلَانٌ وَتَزَقَّمَ؛

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27 / 663، والخطيب الشربيني، السراج النير: 3 / 589، والهريري،
حدائق الروح والريحان: 26 / 389.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (شجر).

(3) الجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ، وابن منظور، لسان
العرب: (شجر).

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (زقم).

(5) النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: 3 / 293.

إِذَا ابْتَلَعَ شَيْئًا كَرِيهًا⁽¹⁾، وَالزَّقَمَ: أكل الزَّقوم وشرب اللبن والإفراط فيه، وَأَزَقَمْتُهُ الشَّيْءَ؛ أي: أَبْلَعْتُهُ إِيَّاهُ، فَارْزَقَمَهُ؛ أي: ابْتَلَعَهُ، وَزَقَمَ يَزُقِمُ زَقْمًا مِثْلَهُ أَيْضًا⁽²⁾.

(3) ﴿الْأَثِيمَ﴾: (أثم) تدور اشتقاقاتها على البُطء والتَّأخُّر⁽³⁾، والإثم والأثام: الذَّنْبُ، وهو اسمٌ للأفعال المُبْطِئَة عن الثَّوَابِ، وجمعُه: آثام، وقد آثَمَ الرَّجُلُ إِثْمًا وَمَأْثَمًا وَأَثَامًا، فهو آثِمٌ وَأَثِمٌ وَأَثِيمٌ؛ إِذَا وَقَعَ فِي الْإِثْمِ، وَتَأَثَّمَ: خَرَجَ مِنْ إِثْمِهِ وَتَحَرَّجَ مِنْهُ وَكَفَّ عَنْهُ، كَقَوْلِهِمْ: تَحَوَّبَ وَتَحَرَّجَ؛ أي: خَرَجَ مِنْ حَوْبِهِ وَحَرَجِهِ؛ أي: ضَيَّقَهُ، وَالْأَثِمُ: الْمُتَحَمِّلُ الْإِثْمِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَنَاجٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٌ﴾ [القلم: 12]؛ أي: آثِمٌ⁽⁴⁾، وَأَثَمَهُ اللَّهُ فِي كَذَا يَأْثِمُهُ إِثْمًا وَأَثَامًا؛ أي: عَدَّهُ عَلَيْهِ إِثْمًا، وَجَزَاهُ عَلَيْهِ جَزَاءَ الْإِثْمِ، فَهُوَ مَأْثُومٌ؛ أي: مَجْزِيٌّ جَزَاءَ إِثْمِهِ⁽⁵⁾.

ومعنى قوله تعالى: ﴿طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾؛ الأثيم: الأثم والفاجر كثير الآثام⁽⁶⁾.

(4) ﴿كَالْمُهْلِ﴾: (مهل) تدلُّ تصريفاتها على جنسٍ من الذَّائِبَاتِ⁽⁷⁾، والمُهْلُ: ضَرْبٌ مِنَ الْقَطْرَانِ مَا هِيَ رَقِيقٌ يُشَبِّهُ الزَّيْتَ، وَهُوَ دَسِيمٌ تُدَهِّنُ بِهِ الْإِبِلَ فِي الشِّتَاءِ، وَمَهَلَّتُ الْبَعِيرُ؛ أي: طَلَيْتُهُ بِالْخَضْخَضِ، فَهُوَ مَمْهُولٌ⁽⁸⁾، والمُهْلُ: مَا أَذِيبَ مِنْ جَوَاهِرِ الْأَرْضِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالنُّحَاسِ، وَهُوَ كَذَلِكَ: الْقِيحُ وَالصَّدِيدُ أَيْضًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾؛ أي: النُّحَاسِ الَّذِي يُمَهَّلُ فِي النَّارِ حَتَّى يَذُوبَ⁽⁹⁾.

(5) ﴿يَغْلِي﴾: (غلي) تدلُّ اشتقاقاتها على الغَلْيَانِ؛ وَهُوَ بُلُوغُ حَرَارَةِ الشَّيْءِ أَعْلَاهَا، وَتَقْلِبُهُ وَارْتِفَاعُهُ فِي وَعَائِهِ⁽¹⁰⁾، وَغَلَّتِ الْقِدْرُ تَغْلِي غَلْيًا وَغَلْيَانًا؛ إِذَا فَارَتْ وَطَفَحَتْ بِمَا فِيهَا، وَأَغْلَاهَا وَغَلَّاها⁽¹¹⁾، وَمِنْهُ اسْتُعِيرَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُومِ﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾؛ أي: يَفُورُ وَيُطْفَحُ مِنْ شِدَّةِ الْإِيقَادِ؛ فَاسْتُعِيرَ ذَلِكَ لِما يَجِدُونَهُ مِنَ الْعَذَابِ

(1) الراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (زقم).

(2) الأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب: (زقم).

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أثم).

(4) الراغب، المفردات: (أثم).

(5) الأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ، وابن منظور، لسان العرب: (أثم).

(6) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 149/16، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 103/5، والنسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: 294/3.

(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (مهل).

(8) ابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (مهل).

(9) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 149/16، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 103/5.

(10) محمد جبل، للعجم الاشتقاقي: (غلي).

(11) الأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب: (غلو).

الحميم الذي في أجوافهم، ومنه استُعير غليان الغضب؛ نحو تحرَّق وتميَّز من الغيظ⁽¹⁾.

(6) ﴿الْبُطُونُ﴾: (بطن) تدور تصرفاتها على إنسيِّ الشيء والمُقْبِل منه⁽²⁾، والبطن: خلاف الظهر في كلِّ شيء، ويُعبَّر به عن داخل الشيء كما يُعبَّر بالظاهر عن خارجه، وجمعه: أبطن وبُطون وبُطنان، ويُقال للجهة السفلى: بطن، وللجهة العليا: ظهر، والبطن من كلِّ شيء: جوفه، ويُقال لكلِّ غامض: بطن، وبطن الشيء: خفي، كأنه في بطن.

ويقال: بطن يبطن بطنًا وبطنةً، وبطن وهو بطين، وذلك إذا عظم بطنه، والبطن: كثير الأكل، والمِبطان: الذي يُكثر الأكل حتَّى يعظم بطنه، ويُقال: ثقلت عليه البطنة، وهي أن يمتلئ البطن من الطعام امتلاءً شديدًا⁽³⁾.

وقوله تعالى: ﴿كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾؛ أي: بطون الكفار⁽⁴⁾.

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيَّةُ:

في هذا البيان القرآنيَّ وعيدٌ شديدٌ بما أعدَّه الله تعالى للكافرين في جهنم يوم القيامة؛ من الطعام الذي سيكون من شجرة الزقوم المخلوقة في أصل الجحيم التي جعلها الله تعالى غذاءً للكافر الفاجر كثير الآثام، وهذا الغذاء سيكون كالنحاس المذاب الذي سيغلي في بطون هؤلاء الكفار كغلي الماء البالغ نهاية الحرارة؛ جزاءً لهم على كفرهم وكثرة آثامهم⁽⁵⁾.

شجرة الزقوم
من الغذاء
المطعم للآثم
الذموم

(1) الراغب، للفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (غلو).

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بطن).

(3) الخليل، العين، والجوهرى، الصحاح، والراغب، للفردات، وابن منظور، لسان العرب: (بطن).

(4) البغوي، معالم التنزيل: 7/ 236، والخازن، لباب التأويل: 4/ 120.

(5) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 7/ 239، والزحيلي، التفسير النير: 25/ 236.

❁ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

علة فصل قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الرَّقُومِ﴾ عن سابقه:

زيادة بيان ما
يُصيب الكافرين
من العذاب
للّهين

فُصل قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الرَّقُومِ﴾ عن سابقه؛ لأنه جملة استئنافية⁽¹⁾ فيها تفصيل بيان حال الكافرين يوم القيامة؛ حيث إنه لما ذكر الله سبحانه فريقاً مرحومين على وجه الإجمال؛ قابله هنا بفريق معذبين وهم المشركون، ووصف بعض أصناف عذابهم وهو مأكَلهم وإهانتهم وتحريقهم، فكان مقتضى الظاهر أن يُبدَأ الكلام بالإخبار عنهم بأنهم يأكلون شجرة الرقوم، وعُدل عن ذلك إلى الإخبار عن شجرة الرقوم بأنها طعام الأثيم اهتماماً بالإعلام بحال هذه الشجرة⁽²⁾.

نكتة تأكيد جملة ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الرَّقُومِ﴾ بـ﴿إِنَّ﴾:

عذاب الكافرين
حق بلا مرية،
فقد أعظموا
على الله الفرية

جاءت جملة ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الرَّقُومِ﴾ مؤكدة بـ﴿إِنَّ﴾ لكون المخاطب مكذباً منكراً معتقداً خلاف الخبر؛ فافتضى تأكيد الخبر؛ للمبالغة في الترهيب والتخويف من العذاب الذي ينتظرهم يوم الحساب إن هم أصرّوا على كفرهم وعنادهم.

نوع الإضافة ودلالاتها في ﴿شَجَرَتَ الرَّقُومِ﴾:

الإضافة لإفادة
التحقير،
وترهيب المكذّبين
من سوء المصير

الإضافة في قوله تعالى: ﴿شَجَرَتَ الرَّقُومِ﴾ معنوية، وقد أفادت مع التعريف تحقير المضاف - وهو الشجرة - بإضافتها إلى ما يُستشنع ويُقبح؛ وهو الرقوم.

وشجرة الرقوم هي الشجرة التي خلقها الله تعالى في جهنم، وسمّاها الشجرة الملعونة، فإذا جاع أهل النار التجؤوا إليها فأكلوا منها، فغليّت في بطونهم كما يغلي الماء الحار⁽³⁾، نسأل الله السلامة!

(1) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 136 / 13.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 314 / 25.

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 149 / 16.

وقد جعلت شجرة الزقوم شيئاً معلوماً للسامعين، فأخبر عنها بطريق تعريف الإضافة؛ لأنه قد سبق ذكرها في سورة الواقعة التي نزلت قبل سورة الدخان، فإن الواقعة عُدَّت السادسة والأربعين في عداد نزول السور، وسورة الدخان عُدَّت الثالثة والستين⁽¹⁾.

معنى التعريف في «الزقوم»:

التعريف في قوله تعالى: «الزقوم» للعهد، والتقدير: الزقوم الذي حدثكم القرآن عنه من قبل في وصف الشجرة الملعونة، وذلك في قوله تعالى: «طلعها» [الصفحات: 65]؛ أي: الزقوم في شناعته وبشاعته «كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ» فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُ مِنْهَا فَمَالُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ [الصفحات: 65 - 66].

ذَكَرَ إِلَهُ
الْكَافِرِينَ بِمَا
خَوَّفَهُمْ بِهِ
سَلَفًا، فَمَا
زَادَهُمْ إِلَّا
اسْتِكْبَارًا وَانْفَاً

نوع الإضافة ودلالاتها في «طعام الأثيم»:

إضافة الطعام إلى الأثيم في قوله: «طعام الأثيم» إضافة معنوية، وغرضها تحقيق المضاف وتبشيعه في ذهن السامع، والإشارة إلى أن هذا الطعام ليس مما يُكرَّم به، بل هو لون عذاب، ونوع عقاب.

طَعَامُ الْأَثَمِينَ
عَذَابٌ، وَلَوْ أَنَّ
أَلْوَانَ الْعِقَابِ

معنى كون الشجرة طعاماً:

معنى كون الشجرة طعاماً في قوله تعالى: «إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُومِ» طعام الأثيم» أَنَّ ثَمَرَهَا طَعَامٌ، كما قال تعالى: «طَلَعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ» فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُ مِنْهَا فَمَالُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ [الصفحات: 65 - 66]⁽²⁾، والطعام ما يُتناول منه من الغذاء، وأصله مصدر؛ فلذا وقع خبراً عن المؤنث ولم يطابق، فكأنه قيل: إِنَّ الزَّقُومَ طَعَامُ الْأَثَمِينَ⁽³⁾.

سَمَّيْتُ الشَّجَرَةَ
طَعَامًا؛ لِأَنَّهَا
مَصْدَرُ الطَّعَامِ،
وَهِيَ عَذَابٌ
لِلْأَصْحَابِ الْآثَامِ

معنى التعريف والمبالغة في «الأثيم»:

التعريف في قوله تعالى: «الأثيم» للعهد؛ حيث إن المقصود

التَّعْرِيفُ
لِلْعَهْدِ،
وَالْمَبَالِغَةُ لِلتَّكْثِيرِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 314 / 25.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 314 / 25.

(3) الألوسي، روح المعاني: 131 / 13.

بهذا اللفظ أبو جهل، فقد روي أن هذه الآية نزلت فيه، ولما نزلت وأشار الناس بها إليه، جمع عجوة بزبد ودعا إليها ناسًا، وقال لهم: "تَزَقَّمُوا، فَإِنَّ الرَّقُومَ هُوَ عَجْوَةٌ يَثْرَبُ بِالزُّبْدِ، وَهُوَ طَعَامِي الَّذِي حَدَّثَ بِهِ مُحَمَّدٌ"، وإنما قصد بذلك ضربًا من المغالطة والتلبيس على الجهلة⁽¹⁾.

وذهب بعض أهل العلم إلى أنها نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي⁽²⁾.
ويصح حمل التعريف على الجنس، ويكون المراد به جنس الكافر لا واحد بعينه⁽³⁾، وإن كان اللفظ المفرد الذي دخل عليه حرف التعريف الأصل فيه أن ينصرف إلى المذكور السابق، ولا يفيد العموم، وهاهنا المذكور السابق هم المشركون المذكورون في قوله: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءَ لَيَقُولُونَ ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾﴾⁽⁴⁾ [الدخان: 34 - 35]، فينصرف إليه⁽⁴⁾.

وقد جاءت ﴿الْأَثِيمَ﴾ على وزن (فَعِيل) وهو من صيغ المبالغة، ومعناه: الكثير الآثام؛ للدلالة على المبالغة في اكتساب الآثام حتى مرّن عليها فصارت به إلى الكفر⁽⁵⁾؛ وذلك لدلالة ما قبله وما بعده عليه⁽⁶⁾.

نكتة الإظهار في مقام الإضمار في قوله تعالى: ﴿طَعَامُ الْأَثِيمَ﴾:

كان مقتضى الظاهر بعد قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ أن يقال: إن شجرة الرقوم طعامهم، لكنه عدل عنه إلى الإظهار في مقام الإضمار، فقال تعالى: ﴿طَعَامُ الْأَثِيمَ﴾.
وقد أفاد هذا الإظهار نكات بلاغية، منها: التسجيل عليهم؛ أي: تحقيق اتصاف محل المضمر بهذا الوصف، وأنه أهل له؛ معنى ذلك: الحكم عليه به، فقوله: ﴿طَعَامُ الْأَثِيمَ﴾ بدل (طعامهم) أفاد بأنهم أثيمون.

ومنها: عدم تخصيص الحكم بمرجع الضمير، فيؤخذ منه تعميم الحكم بعموم علّة الوصف وهو الإثم، فيكون معيارًا للمذكور وغيره ممن شاركه في وصف الإثم.

(1) الزمخشري، الكشاف: 4/ 281، وابن عطية، الحرر الوجيز: 5/ 76، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 150/ 16.

(2) الواحدي، التفسير البسيط: 20/ 117، وأبو حيان، البحر المحيط: 9/ 407، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 65/ 8.

(3) الألويسي، روح المعاني: 13/ 130.

(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 664، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 314.

(5) البقاعي، نظم الدرر: 42/ 18.

(6) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 65/ 8، والراعي، تفسير القرآن: 25/ 134، والقاسمي، محاسن التأويل: 8/ 422، والهرري،

حدائق الروح والريحان: 26/ 390.

التَّعْرِيفُ بِعَتَوِ
الْفَجَارِ

وَمِنْهَا: التَّعْلِيلُ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْحُكْمَ إِذَا عَلِقَ بِوَصْفٍ دَلَّ عَلَى عِلِّيَّةِ ذَلِكَ الْوَصْفِ فِيهِ؛ فَسَبَبُ اسْتِحْقَاقِهِمُ لِلزَّقُومِ هُوَ كَوْنُهُمْ مَتَّصِفِينَ بِالْمِبَالِغَةِ وَالْإِكْثَارِ فِي الْإِثْمِ.

وَمِنْهَا: تَنْبِيهُ الْمَخَاطَبِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا جَاءَ الْكَلَامُ عَلَى خِلَافِ السِّيَاقِ انْتَبَهَ الْمَخَاطَبُ لَهُ⁽¹⁾.

نكتة إفراد ﴿الْأَثِيمِ﴾ بعد التعبير بالجمع في ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾:

عُبر بالإنفراد في ﴿الْأَثِيمِ﴾ بعد التعبير بالجمع في قوله: ﴿إِنْ هَؤُلَاءَ لَيَقُولُونَ ﴿٣٥﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [الدخان: 34 - 35]، وفي قوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾؛ لِتُصَوِّرَ صُورَةً مِنَ الْعَذَابِ مُفْرَدَةً، "حيث تحصر في إطارها إنساناً ظالماً باغياً من هؤلاء الظلمة الباغين، فيبدو في هذه الصورة وكأنَّ العذاب الجَهَنَّمِيَّ قد احتواه وحده، وفي شخصه هذا يرى كلُّ ظالمٍ أثيمٍ أنَّه هذا الإنسانُ الشَّقِيُّ المنكود، يتقلَّبُ وحده في هذا العذاب الذي تقشعرُّ من هولهِ الجبال"⁽²⁾!

لكلِّ أثيمٍ عذابه
المستقلُّ

بلادة التشبيه في قوله: ﴿كَالْمُهْلِ يَغْلِي﴾:

في قول الله ﷻ: ﴿كَالْمُهْلِ يَغْلِي﴾ تشبيهٌ مرسلٌ مجملٌ⁽³⁾؛ حيث شُبِّهَ ما يصير من شجرة الزَّقُومِ إلى بطونهم بالمُهْلِ؛ وهو دُرْدِيُّ الزَّيْتِ، وعكزُ القطران، ومذابُ النُّحاس، وسائر الفلزَّات⁽⁴⁾، والتَّشْبِيهِ بِهِ فِي سَوَادِ لَوْنِهِ، أَوْ فِي ذَوْبَانِهِ⁽⁵⁾، وَسُمِّيَ ذَلِكَ مُهْلًا؛ لِأَنَّهُ فِي

تخويفٌ كلِّ
مَن ورط نفسه
بحمقٍ وجهلٍ

(1) العثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة: 1/ 201 - 202، وتفسير آل عمران: 2/ 312.

(2) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 13/ 211.

(3) الزحيلي، التفسير للنبر: 25/ 233، والهرري، حقائق الروح والريحان: 26/ 411.

(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 663، وأبو حيان، البحر للحيط: 9/ 407، والقرطبي الجامع لأحكام القرآن: 16/ 149 - 150.

(5) الواحدي، التفسير البسيط: 20/ 118، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 315.

النَّارَ حَتَّى يَذُوبَ، فَهُوَ مِنَ الْمُهْلِ بِمَعْنَى السُّكُونِ⁽¹⁾، وَالْجُمْلَةُ اسْتِثْنَاءٌ لِبَيَانِ حَالِ هَذَا الطَّعَامِ؛ أَي: هُوَ كَالْمُهْلِ، أَوْ مِثْلَ الْمُهْلِ⁽²⁾.

معنى التّعريف في قوله تعالى: ﴿كَالْمُهْلِ﴾:

جاء التّعريف في قوله تعالى: ﴿كَالْمُهْلِ﴾ للجنس؛ فالْمُهْلُ هو ما ذابَ مِنْ ذَهَبٍ، أَوْ فَضَّةٍ، أَوْ حَدِيدٍ، أَوْ رصاصٍ، وَنَحْوِهِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لِلْعَهْدِ الذُّهْنِيِّ؛ أَي: الْمُهْلُ الْمَعْهُودُ، وَهُوَ مَذَابُ الْمَعَادِنِ، وَكَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه بالكوفة على بيت المال لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، فَأَذَابَ يَوْمًا فَضَّةً مَكْسُورَةً، فَلَمَّا سَأَلَتْ، قَالَ: "يَدْخُلُ مَنْ بِالْبَابِ"، فَدَخَلُوا، فَقَالَ لَهُمْ: هَذَا أَشْبَهُ مَا رَأَيْنَا فِي الدُّنْيَا بِالْمُهْلِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ هَذِهِ الشَّجَرَةَ إِذَا طَعِمَهَا الْكَافِرُ فِي جَهَنَّمَ صَارَتْ فِي جَوْفِهِ تَفْعَلُ كَمَا يَفْعَلُ الْمُهْلُ الْحَارُّ مِنَ الْإِحْرَاقِ وَالْإِفْسَادِ⁽³⁾.

دلالة التّعبير بالفعل المضارع ﴿يَغْلِي﴾:

جاء التّعبير بالفعل المضارع في قوله تعالى: ﴿يَغْلِي﴾ لإفادة التّجَدُّدِ، مَعَ اسْتِحْضَارِ مَشْهَدِ الْغُلْيَانِ؛ فَالْعَذَابُ مُتَجَدِّدٌ وَمُسْتَمِرٌّ أَبَدًا لَا يَنْقَطِعُ، يُهَانَ بِهِ كُلُّ مُسْرِفٍ كَذَّابٍ، وَالحَالُ أَنَّهُ ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: 56].

معنى ﴿فِي﴾ ودلالاتها في قوله: ﴿فِي الْبُطُونِ﴾:

الأَصْلُ فِي مَعْنَى ﴿فِي﴾ أَنَّهُ مَوْضُوعٌ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ وَالْوَعَاءِ؛ مَكَانِيَّةً أَوْ زَمَانِيَّةً، حَقِيقِيَّةً أَوْ مَجَازِيَّةً⁽⁴⁾، وَهِيَ هُنَا ظَرْفِيَّةٌ مَكَانِيَّةٌ حَقِيقِيَّةٌ، وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الْبُطْنَ هُوَ الْمَحَلُّ، وَأَنَّ الْغُلْيَانَ حَالٌ فِيهِ، وَالْغَرَضُ مِنْ هَذَا هُوَ تَبْشِيعُ الْعَذَابِ، وَتَشْنِيعُ صُورِ الْعِقَابِ.

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 663 / 27، والآلوسي، روح المعاني: 131 / 13.

(2) الآلوسي، روح المعاني: 131 / 13.

(3) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 21 / 55، والزمخشري، الكشاف: 281 / 4، وابن عطية، الحرّز

الوجيز: 5 / 76، وأبو حيّان، البحر المحيط: 407 / 9، والآلوسي، روح المعاني: 131 / 13.

(4) سيبويه، الكتاب: 226 / 4، والزمخشري، الفصل: ص: 381، وابن يعيش، شرح الفصل: 471 / 4،

والسامرائي، معاني النحو: 57 / 3.

شراب الكافرين
مُهْلٌ وطعامهم
زَقُومٌ، جزاء بما
كفروا بالحيّ
القيوم

استحضار صورة
الانتقام جزاء
ما اقترفوا من
الآثام

تبشيع العذاب،
وتشنيع صور
العقاب

معنى التعريف في ﴿البُطُون﴾ ودلالة مجيئها جمعاً:

التعريف في كلمة ﴿البُطُون﴾ للعهد، أي: في بطون الكفار الآثمين الذين تكلمت عنهم الآيات، فهم آكلو الرِّقُومِ المعدَّبون به. وقد جاءت جمعاً لإفادة التَّكثير، وبنائها على (فُعول) يدلُّ على ذلك، فالذين أنكروا البعث والحسابَ والجزاء كثيرين، لكلِّ منهم عذابه، فيغلي الرِّقُومُ في بطونهم، كما قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا كُؤُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ [الصفات: 66]، وكما قال سبحانه أيضاً: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَهْيَا الصَّالُونَ الْمُكَذِّبُونَ﴾ [الأنعام: 51]، ﴿لَا كُؤُونَ مِنْ شَجَرٍ مِّن رِّقُومٍ﴾ [البُطُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ] [الواقعة: 51 - 53].

بلادة التشبيه في قوله تعالى: ﴿كَغَلِي الْحَمِيمِ﴾:

الحميم: هو الماء الشَّدِيد الحرارة، ومنه الحَمَّة - بفتح الحاء - وهي العين الجارية بالماء الحارِّ الذي يُسْتَشْفَى به من أوجاع الأعضاء والدُّمَل (1)، وقوله تعالى: ﴿كَغَلِي الْحَمِيمِ﴾ تشبيهٌ مرسلٌ مجمل (2)، فهو مرسلٌ لذكر الأداة، ومجملٌ لعدم ذكر وجه الشَّبه، ووجه الشَّبه هو هيئة غليانه (3): أي: يغلي "غلياناً كغليان الماء الحارِّ الذي انتهى حرُّه وغليانه لشدة حرارته وكرهية المعدة إيَّاه" (4).

نوع الإضافة ودلالتهما في ﴿كَغَلِي الْحَمِيمِ﴾:

الإضافة في قوله تعالى: ﴿كَغَلِي الْحَمِيمِ﴾ معنوية؛ أفادت مع التعريف تهويل المضاف - وهو الغليان - وتبشيعه في ذهن القارئ؛ أي: يغلي الرِّقُومُ في بطن الكافر غلياناً عظيماً كغليان الماء الذي انتهى حرُّه.

امتلاذت بطونُ
الكفار في الدنيا
تكذيباً وتأنيماً،
وستمتلئ يوم
القيامة ناراً
وزقوماً

بيان عظمة ما
سَيُقَاسُوهُ مِنَ
الألم والجحيم

تبشيع الصورة
وتقبيحها

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7 / 299.

(2) الزحيلي، التفسير للنير: 25 / 233.

(3) الزمخشري، الكشاف: 4 / 281، وأبو حيان، البحر الحيط: 9 / 407، وابن عاشور، التحرير والتنوير:

315 / 25

(4) البروسوي، روح البيان: 8 / 427.

معنى التعريف في ﴿الْحَمِيمِ﴾:

تقريب الصورة
 وإقامة الحجة

(أل) في ﴿الْحَمِيمِ﴾ للعهد العلمي؛ فالمقصود أنه كالماء الحار إذا اشتد غليانه، وهو شيء قد ترسخت صورته في الذهن، ويسهل استحضاره عند تشبيه شيء ما به، وهو الغرض من التشبيه عموماً: تقريب صورة البعيد غير المعروف بتشبيهه بالشيء القريب المعروف.

❁ الفروق المعجمية:

الطعام والأكل:

لفظ الطعام
 أنسب للفظ
 الذوق

الفرق بينهما أن جذر الطعام أصل مطرد منقاس في تذوق الشيء⁽¹⁾، أما جذر الأكل فليس على ذلك؛ إذ الهمزة والكاف واللام بابٌ تكثر فروعه، والأصل كلمة واحدة، ومعناها التتقص⁽²⁾.

فأوتر - لأجل ما سبق - في هذه الآية (الطعام) دون (الأكل)؛ لما جاء بعدها في وصف ثمار شجرة الزقوم، ولقول الله ﷻ: ﴿ذُقْ﴾؛ أي: ذُقْ هذا العذاب⁽³⁾؛ فهذا الطعام منه.

الغليان والفوران:

في الغليان بلوغ
 الشيء أعلى
 حرارته وتقلبه
 في وعائه دون
 خروج منه، وفي
 الفوران جيشان
 الماء وخروجه
 من وعائه

الفرق بينهما: أن المعنى المحوري لجذر الغليان: هو بلوغ حرارة الشيء أعلاها وتقلبه وارتفاعه في وعائه⁽⁴⁾، أما المعنى المحوري لجذر الفوران: فهو جيشان الماء ونحوه نافذاً مما يضمه إلى أعلى بقوة واندفاع⁽⁵⁾؛ وقد أوتر لفظ (الفوران) دون (الغليان) في قول الله ﷻ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ [هود: 40]؛ لأنه يدل على خروج الماء من التنور⁽⁶⁾، وأوتر لفظ (الغليان) دون (الفوران) في

(1) ابن فارس، القاييس: (طعم).

(2) ابن فارس، القاييس: (أكل).

(3) البغوي، معالم التنزيل: 236 / 7.

(4) محمد جبل، للعجم الاشتقاقي: (غلي).

(5) محمد جبل، للعجم الاشتقاقي: (فور).

(6) البيضاوي، أنوار التنزيل: 135 / 3، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 70 / 12.

قول الله ﷻ: ﴿كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ۖ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾؛ لَّأنَّه يدلُّ على بقاء هذا الطَّعام في البطنون يتقلَّبُ فيها ويرتفعُ بأعلى حرارةٍ دون خروجِ منها، كغَلْيِ الحميم، وذلك أشدُّ من خروجهِ بالفوران في التَّعبير عن هذا العذاب؛ لأنَّ في الخروجِ تَخْلُصًا، فدلَّ ذِكْرُ لفظ (الغليان) دون (الفوران) على أنَّ الأثيمَ لا يستطيع التَّخلُّصَ من هذا الطَّعام الذي يَغْلِي في بطنه، ويدلُّ على ما سبق أنَّ الحميم: الماءُ الشَّدِيدُ الحرارة الذي انتهى غليانه⁽¹⁾ وتناهى حرُّه بما يوقَد تحتَه، فهو يَثْبُتُ كأنَّه يريد أن يتخلَّصَ ممَّا هو فيه من الحرِّ⁽²⁾؛ فوجهُ الشَّبه بين غليانِ هذا الطَّعام في البطنون وغليانِ الحميم هو هيئَةُ الغليان⁽³⁾.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 315 / 25.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 44 / 18.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 315 / 25.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والخمسون،
سورة الزُخْرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثية الآية 15
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447 هـ - 2026 م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026 م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والخمسون، سورة الزُخْرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثية الآية 15
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2026.
مج. 54، 802 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-655-02-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 54 : المجلد الرابع والخمسون، سورة الزُخْرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثية الآية 15.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-655-02-2

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-8769435 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية : E

"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"